ROWAQ MAYSALOON
رواق ميسلون

دراسات سياسية وثقافية
POLITICAL AND CULTURAL STUDIES

مجلة فصليّة تصدر عن مؤسسة ميسلون للثقافة والترجمة والنشر

في هذا العدد

■ حوار العدد
مع الدكتور منير الكُشو

■ سمير ساسي: الافتقار إلى الحياة السياسية والتنظيمات السياسية
■ جمال نصّار: الدولة في المفهوم الديمقراطي
■ خلدون النبواني: علاقة الدروز بالآخر

■ شخصية العدد؛
جودت سعيد

العدد الثاني عشر - كانون الأول / ديسمبر 2023

إبداعات ونقد أدبي

البيضة والحجر (قصة قصيرة)

باسم سليمان

خاصة في صيدنايا (قصة قصيرة)

طالب إبراهيم

وجه السمكة (قصة قصيرة)

صادق يالسيز أوتشانلار، ترجمة: هَلا علّوش

البوال (قصة قصيرة)

بدر زكريا

دَعامِيصُ الجَنَّةِ (قصة قصيرة)

بدر زكريا

لوحة للفنان التشكيلي السوري إبراهيم برغود

دَعامِيصُ الجَنَّةِ

(قصة قصيرة)

عمار الأمير

قاصّ سوري من مدينة إدلب ومقيم فيها، صدرت له عدة مجموعات قصصية؛ شتيمة موصوفة (ميسلون للثقافة والترجمة والنشر)، جاسوسة الملائكة (موزاييك للدراسات والنشر)، أبو صخر (موزاييك للدراسات والنشر)، قارئ الندوب (الدندشي للطباعة والنشر في كندا ودار جيفرا في الأردن)، «سام ويم» يوميات طفلين في السودان، الذي حصل من خلاله على جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي في أدب الأطفال.

– هل جربتَ أن تعودَ بالزمنِ إلى الوراءِ؟

هكـذا سـألني محمـد مـع اقترابِنـا مـن مدرسـةِ حطيـنَ الابتدائيـةِ التـي درسَ علـى مقاعدِهـا ولـداه جـلال وليمـار... أجبتُـه:

– لا...فقال:

– أنـا أعـودُ كُلَّ يـوم... بـل كُلَّ سـاعة... بـل أنـا أعيـشُ فـي الماضـي، فالحادثـةُ التي أوقفـتْ الزمـنَ عنـدي كَتبتْهـا الحـربُ فـي رأسـي كمـا كان يكتـبُ الإنسـانُ القديـمُ ليبقـى مـا يكتُبـه مئـاتِ السـنين... سـألتُه:

– كيف؟ ... فأجاب:

– بمطرقةٍ وإزميلٍ من حجر.

أنا أعرفُ ما جرى مع محمدٍ لكن من يعرفُ التفاصيلَ ليس كمن يعيشُها.

... قبلَ الحادثةِ بثلاثةِ أيام، إدلب، يومُ الثلاثاء 24 آذار/ مارس 2015

كان الشتاءُ لا يزالُ يدسُّ أنفَه بين ساعاتِ الليلِ.

استيقظَ محمد صباحًا وهو يرتعشُ، احتارَ.. أمِنْ بردٍ أم خوفٍ؟

لـم يشـربْ قهوتَـه التـي يحـبُ أن يتناولَهـا بوجـودِ جـلال وليمـار اللّذيـن يدفئـان أَكُفّهمـا وهمـا يمسـكان كوبـي الحليـب...

إنّهمـا نائمـان، مدرسـتهما مغلقـةٌ لأنَّ أصـواتَ الانفجـاراتِ تمـلأُ مدينـةَ إدلـب، تـأكلُ حاراتِهـا القديمـة وتهـدُ بُنْيانهـا وتحيـطُ بهـا إحاطـةَ الواسـطةِ بالجيـد.

بعـد أن هـدأ القصـفُ قليـلًا لبـسَ ثيابَـه وعلـى بـابِ المنـزلِ ودعتْـه زوجتُـه وداعَ مفـارقٍ لأنَّ الخـروجَ هـذه الأيـامُ ضـربٌ مـن الجنـونِ.

أسـرعَ إلـى مقـرِ عملِـه تحـتَ الشـرفاتِ فـي شـوارعَ مُقْفِـرةٍ لهـا رهبـةُ الحديـثِ عـن القيامةِ.

حـاولَ أن يتفـادى القذائـفَ التـي يمكـن أن تصيبَـه فترديـه قتيـلًا أو تحاذيـه فتبتـرُ أحـدَ أطرافِـه.

إنَّ مراقبـي الـدوامِ لا يتهاونـون مـع مـن يتأخـرُ عـن عملِـه ولـو أمطـرتْ الدنيـا نـارًا ودخانًـا.

يعتقـدون أنَّ غيمـةَ الشـعبِ الثائـرِ سـتمرُ وسـتذهبُ ريحهـم وسـيبقى رئيـسُ الدولـةِ البطـل الّـذي دمَّـرَ دولـةً كاملَـةً وحـده.

وصلَ محمد، هنأه أصدقاؤه بالسلامةِ وراحوا يتبادلون الأحاديثَ.

قـال مأمـون إنَّ هنـاكَ تعزيـزاتٍ وصلتْ مـن المعسـكرِ القريبِ فـي قرية «المسـطومة» ولا خـوفَ علـى المدينـةِ، فهمـسَ طـلال فـي أذنِ محمـدَ أنّ الثـوّارَ عقـدوا العـزمَ علـى تحريرِنا.

وقبلَ الظهرِ طُلبَ من الموظفينَ أن يغادروا بسببِ اشتدادِ وتيرةِ القصفِ.

إدلب، يومُ الأربعاء 24 آذار/ مارس 2015

أصابـتْ قذيفـةٌ الطابـقَ الأخيـر مـن المبنـى الّـذي يسـكنُ فيـه محمـدٌ وعائلتَـه، فقـررَ أن يتـركَ البيـتَ وكأنَّ القـدرَ يدفعُـه دفعًـا إلـى قـدرِه، اعتقـدَ أنَّ منـزلَ ذويـه آمِـنٌ، لذلـك حمـلَ بعـض الثيـابِ والأوراقِ المهمـةِ وطفليـنِ يرفضـانِ تـركَ المنـزلِ فهـو عالمهـم الخاص...

فهنـا غرفـةُ ألعابهمـا وهنـا الشـرفةُ التـي يراقبـانِ مـن خلالهـا شـجرةَ صفصـافٍ تنمو بسـرعةٍ وعلـى ذلـك الكرسـي رسـمتْ ليمـار لوحـةً فيهـا شـجرةُ زيتـونٍ مثمـرةٍ وفـي تلـك الزاويـةِ أحـرقَ جـلالُ طَـرفَ سـجادةٍ مصنوعـةٍ بنـولٍ يـدوي.

أقنعهما محمد بأنهما سيعودانِ إليه بعد عدةِ أيامِ... أغلقَ بابَ المنزلِ ومضى.

إدلب، يومُ الخميسِ 26 آذار/ مارس 2015

بيتُ أهلِ محمدٍ بلا روح، لقد أخذَ أخوه براء الفتى المراهق معه روحَ المكان، اعتقلَتْه قواتُ الأمنِ بتهمةِ التظاهرِ السلمي، مضى على اعتقالِه أربع سنوات، فأصبح البيتُ بلا ابتسامات.

إدلب، يومُ الجمعةِ 27 آذار/ مارس 2015 يومُ الحادثةِ

بعد انقطاعِ كُلّ وسائلِ الاتصالِ توقفَ سيلُ المعلوماتِ التي كانت تنتقلُ من الأفواهِ إلى الآذانِ بطريقةٍ جنونيةٍ...

بعضهم يقولُ إنَّ فلولَ النظامِ بدأتْ تغادرُ المدينةَ بعد أن دخلَ الثوَّارُ من جهةِ الغربِ فاتحين لهم ثغرةً شرقًا.

لم تقمِ الصلاةُ... خافَ الناسُ فهي المرَّةُ الأولى التي تغلقُ فيها أبوابَ المساجدِ في يومِ الجمعةِ... تلاشى الخوفُ مع سماعهم صوتَ تكبيرٍ قادمٍ من بعيد.

محمد لم يشاركْ في أيِ معركةٍ لكنَّه شعرَ بالنصرِ، لم يشعرْ بالخوفِ من الحناجرِ التي صرختْ «اللّه، سورية، حريةَ وبس» لكنَّه خافَ من انتقامِ آليةٍ عسكريةٍ حكمتْ البلدَ نصفَ قرنٍ بالحديدِ والنارِ.

لذلك قررَ في صباحِ الغدِ أن يلحقَ بأهلِ زوجتِه الّذين نزحوا إلى قريةٍ قريبةٍ محررةٍ بسبب مضايقاتِ العسكرِ ومن سموا بالشبيحةِ.

في الساعةِ التاسعةِ مساءً لم تطحنْ أسنانُ من في البيتِ أيَّ شيء ولم تتبللْ بكأسِ شايٍ أو حتى ببضع قطراتٍ من الماءِ، الكُلُّ أصابهم الخوفُ والوجومُ والنفسُ المسدودةِ كطرقِ الوطنِ.

الحقائبُ جاهزةٌ والكَلّ ينتظرُ الصباحَ للمغادرةِ، نامَ جلال وليمار في غرفةٍ داخليةٍ بعيدةٍ عن الشارعِ وعن الخطرِ كما تهيأ لمحمدٍ.

الساعةُ الحاديةَ عشرةَ ليلًا، لم يغمضْ لمحمدٍ جفنٌ، انتصبَ واقفًا وراحَ ليطمئنَ على أطفالِه، قبَّلَهما، غطاهما وعادَ إلى فراشِه.

استلقى وسمحَ أن يلتقي جفناه بعضهما مع بعض وما هي إلا دقائقَ حتى أحسَ أنَّه سقطَ من سريرِ أخيه براء الّذي ينامُ عليه، اعتقدَ أنّه يحلمُ بالقيامةِ،

شعرَ بألم شديدٍ في ذراعِه الأيسر، ارتجفَ ونهضَ قائمًا، فتحَ عينيه، لم يرَ شيئًا، غبارٌ كتمَ أنفاسه، تلمَّسَ السريرَ باحثًا عن زوجته، خرجَ منها صوتٌ ضعيفٌ:

محمد، ما الذي جرى؟ وقفزتْ صارخةً: جلال... ليمار

أسرعَ محمد إلى خارجِ الغرفةِ وجدَ أمامَه ركامًا، شعرَ ببردٍ مفاجئ، نظرَ إلى الأعلى، رأى النجومَ، صاحَ:

أين سقفُ البيتِ؟

ركضَ باتجاهِ والديه وولديه، تسلَّقَ أكوامَ الحجارةِ وهو ينادي من أعماقِه ذلك الصوتَ الّذي يحررُ الروح:

جلال، ليمار، أمي، أبي

نسي تفاصيلَ بيتِ أهلِه الّذي عاشَ فيه طفولتَه وصِباه، فكَّرَ أين أنا الآن؟

أين غرفةُ الأولادِ؟ أين غرفةُ أمّي وأبي «الركامُ مسحَ ذاكرتَه».

سَمِعَ أنينًا خافتًا جدًا، قادتَه أذناه ناحيتَه، الأنينُ صارَ أوضح، إنَّه قادمٌ من أسفلِ قطعةٍ كبيرةٍ سقطتْ من السقفِ، حاولَ رفعَها فوجدَ يدَ أمِّه تنادي: أنا هنا...

بدأ هو وأبوه بإزالةِ الركامِ من فوقِها إلى أن وصلا إليها....

قال بصوتٍ مبحوحٍ: هل ماتتْ؟

وضعَ يدَه التي ترتجفُ كيَد كهلٍ على رقبتِها ليتحسسَ نبضَها الضعيف.

حملها إلى الغرفةِ الوحيدةِ التي ما زالتْ قائمةً على أعمدتِها ورأى على ضوءِ قمرٍ يخجلُ مما يفعلُه البشرُ جرحٌ غائرٌ يبدأُ من جبهتِها وينتهي خلفَ رأسِها، صرخَ:

«يا الله» فسمعهَا الثَّقَلان...

نداءُ زوجةِ محمدٍ أين أولادي أعادَه إلى المشهدِ.

عادَ إلى الأنقاضِ ليبحثَ عن ولديه، نادى على من تجمهرَ أمامَ البناءِ من علوِ طبقتين: هل رأيتم أولادًا سقطوا من الشرفةِ؟

الساعةُ الثانيةَ عشرة ليلًا، صعدَ أحدُ الجيرانِ باكيًا على بقايا درجِ البناءِ

بحثَ طويلًا حتى وجدَ طرفَ غطاءٍ بنيِّ اللونِ، نادى على محمدٍ الّذي انكمشَ على نفسِه وبدا فاقدًا تركيزَه، شعرَ محمدٌ بدفءِ هذا الغطاءِ فأيقنَ أنهما هنا...

هجمَ على الحجارةِ يلعنُها ويزيلُها إلى أن وصلَ إلى جلالَ رفعه عن الأرضِ وضمه إلى صدره، حمدَ الله أنه لا يوجد في جسده أيَّ إصابةٍ.

ارتفعَ صوتُ بكاءِ الجارِ، استغربَ محمدٌ، لماذا يبكي وجلالُ بخيرٍ بين يديه.

نظرَ محمدُ إلى ابنه ثانيةً فشاهدَ ما لم يشاهده في أولِ ضمةٍ، كان قحفُ رأسِه مفقودًا، وجهه يقولُ إنه نائمٌ وقفا رأسِه يدلُ على أنه ميت.

أين ليمار؟ دعا اللهَ أن تكونَ حيةً، دسَّ يده في المكانِ الّذي وجدَ فيه جلال،

كان الليلُ حالكًا ولا مجالَ للرؤيةِ، فقط عاطفتُه من يدلّه، كانت ليمارُ منكبةً على وجهِها سحبَ جسدَها النحيلَ برجاءِ من انقطعَ رجاؤه

خاطبها: ليمار...فقدتُ أخاكِ ابقي معي...

كانت نائمة كأخيها، مدَّ يده وكان أول ما قامَ به هو فحص قحف رأسِها، فقد خافَ أن تكونَ الحجارةُ التي هشمتْ رأسَ جلالَ قد هشمتْ رأسَها أيضًا.

وجده سليمًا، أدار وجهها فرأى كسرًا في جبينِها ونقطةَ دمٍ حمراءَ سالتْ من فتحةِ أنفها ووصلتْ إلى شفتِها العليا وتوقفتْ.

صدرَ صوتُ شيطانٍ من رأسِه يسألُه:

لماذا اختارَ اللهُ أولادَكَ؟

صدرَ صوتٌ آخرٌ يخبرُه أنَّ جلالَ وليمارَ دَعامِيصُ الجنة...

نظرَ إلى ليمارَ، تذَّكرَ ضَحِكاتِها التي كانتْ تملأُ أرجاءَ الدنيا عندما تخرجُ من البيتِ راكضةً على عشبِ الحديقةِ التي يطلُّ عليها منزلُهم مرتديةً رداءها الأبيضَ كأنَّها ملاكٌ نزلَ من السماءِ.

نظرَ إلى زوجتِه الثكلى وهي تنوحُ، قال لها بعينيه:

ما بيدي حيلةٌ، هذا قضاءُ اللهِ وقدرِه وأضاف:

تركَ الموتُ كُلَّ شيءٍ في جسديهما، أخذَ الروحَ فقط ورحل.

أرادَ محمد البكاءَ لكنَّه لم يستطعْ، لعلَ اللهَ منعَ عنه البكاءَ حتى يكتبَ أجرَه كاملًا غيرَ منقوص.

الساعةُ الواحدةُ ليلًا، الجميعُ في بيتِ الجيرانِ، أمُّ محمد تغطُّ في غيبوبةٍ، تستيقظُ كُلَّ عشرِ دقائقَ تستفرغُ دمًا وتعودُ إلى غيبوبتها، أصبحَ لونُها كليمونةٍ على شجرةٍ بلا أوراق، زوجُها جالسٌ بجوارِها يريدُ إسعافَها لكن أصواتَ الانفجاراتِ وانقضاضَ الطائراتِ وأزيزَ الرصاصِ يمنعه.

بقيتْ زوجة محمد ترددُ: أريدُ أولادي...حتى ظهورِ أشعةٍ زرقاءَ في الشرقِ

تـؤذنُ بانقضـاءِ الليـل.

سَـمِعَ محمـد الآذانَ، لـم يكـن المـؤذنُ الشـيخَ صبحـي، إنَّـه صـوتٌ غريـبٌ، توضـأ وركـضَ إلـى الشـارعِ، يريـدُ أن يصلـي ويحمـدَ اللـهَ فـي بيـتِ اللـهِ ويطلـبُ المسـاعدةَ مـن المصليـن...

خطرَ له أن يخبرَ كُلَّ البشرِ عبر مكبراتِ الصوتِ بما حصل.

لم يكن يعلم من يسيطرُ على الحيِ، الثوارُ أم قواتُ النظامِ...

على بابِ المسجدِ رأى وجوهًا جديدةً تقعقعُ أسلحتُها قال لهم:

أمي مصابةٌ وأريد أن أدفنَ أولادي.

طأطأوا رؤوسُهم ومشوا خلفه، بدا أمامَهم مترنحًا متعثرًا في مشيه.

تنـاوبَ الجميـعُ علـى حمـلِ الجسـدين المسـجيين بغطائِهـم البنـي ونقلوهمـا إلـى حديقـةِ الحـي.

فقد أشاروا عليه أنَّ الاشتباكاتَ على أشدِها في محيطِ مقبرةِ المدينة.

بحثَ محمدٌ عن شجرةِ صفصافٍ ليكون القبرُ تحتَها.

ضربَ الأرضَ بمعولٍ صدئ كقلبِه وجثا على ركبتيه.

صرخ: يا رب أعطني القوةَ لأحفِرَ قبرًا لأولادي.

عاونـه النـاسُ... الحفـرةُ صـارتْ جاهـزةً، صلـوا عليهمـا ووضعوهمـا فـي القبـرِ المؤقـتِ وفجـأة نـزلَ محمـد إلـى القبـرِ صارخًـا:

أهيلوا الترابَ، لا أريدُ أن أبقى حيًا بدونهما.

اجتمعـوا عليـه ليخرجـوه مـن القبـرِ فرفـض وبعـد محـاولاتٍ عديـدةٍ وافـق بشـرطٍ أن يسـمحوا لـه أن ينـامَ علـى قبريهمـا ليلتَـه المقبلـة، ردَ التـرابَ وذهـبَ ليبكـي جانـبَ أمِّـه فـلا مشـفى ولا طبيبًـا فـي كُلِّ المدينـة.

تضخمَ قلبُ محمد، شهيقُه العميقُ بعد كُلِّ كلمةٍ يقولُها تثبتُ ذلك.

واشتعلَ رأسُه شيبًا فهناك أرواحٌ لازمَته.

يومُ السبتِ 28 آذار/ مارس 2015

كانتْ كُلُّ مساجدِ المدينةِ تصدحُ بالتكبيراتِ لأنَّ المدينةَ تحررتْ بالكامل.

بعـد مـرورِ ثلاثـةِ أسـابيعَ علـى الحادثـةِ، نقـلَ محمـد ولديـه جـلال وليمـار مـن الحديقـةِ إلـى المقبـرةِ.

عـاد وزوجتـه إلـى منزلهـم بـدونِ أولاد، روى لهـا وهـو يفتـحُ البـابَ حديـثَ رسـولُ الله .

«صغاركـم دعاميـصُ الجنـة، يتلقـى أحدهـم أبـاه فيأخـذُ بثوبـه فـلا ينتهـي حتـى يدخلـه اللـهُ وأبـاه الجنـة».

المشاركون في هذا العدد

1. المهدي مستقيم
2. إبراهيم برغود
3. أحمد الرمح
4. أحمد طعمة
5. باسم سليمان
6. بدر زكريا
7. جمال نصّار
8. حمدان العكله
9. حمزة رستناوي
10. خلود الزغير
11. سعيد بوعيطة
12. سمير ساسي
13. صادق يالسيز أوتشانلار
14. صفوان قسَّام
15. طارق عزيزة
16. طالب إبراهيم
17. عبد الرزاق دحنون
18. عمار الأمير
19. فاطمة علي عبُّود
20. محمد العربي العياري
21. محمد العمَّار
22. محمد أمير ناشر النعم
23. محمد نفيسة
24. محمود أحمد عبدالله
25. منير الكشو
26. هَلا علّوش

ميسلون
للثقافة والترجمة والنشر
Maysaloon for Culture, Translation and Publishing

السعر 15 دولارًا

2757-8909